مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد الخامس عشر، العدد الثاني، ص١٦٧- ص٢٠٠، يونيه ٢٠٠٧
ISSN 1726-6807, http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/

الفساد وأسبابه

دراسة قرآنية موضوعية

د.عبد السلام حمدان اللوح
الأستاذ المشارك بقسم التفسير وعلوم
القرآن كلية أصول الدين
الجامعة الإسلامية بغزة
ahamdan@mail_iugaza.edu.ps

أ.ضيائي نعمان السوسي
ماجستير في التفسير وعلوم القرآن
مركز القرآن الكريم والدعوة الإسلامية
الجامعة الإسلامية بغزة
Dsusi@iugaza.edu.ps

ملخص: البحث عبارة عن نموذج تطبيقي لنظرية التفسير الموضوعي، يعرض لنا حقيقة الفساد في السياق القرآني، وذلك باستعراض الآيات المكية والمدنية التي ذكرت لفظة الفساد معنونة حسب صيغها وتصاريفها المتعددة لنرى الفعل الماضي والمضارع واسم المصدر مع الوقوف على اللطائف و الملاحظات و العبر والعظات المستنبطة من ذلك، ثم استنباط الأسباب المتعددة للفساد كما توضحه الآيات القرآنية، بما يظهر تميز القرآن في خدمة الحياة الإنسانية ومعالجة قضاياها.

وذلك للمساهمة في تصحيح واقع الأمة بما وصلت إليه من فساد شمل الفرد والجماعة لتصبح بحال يجعلها تسير في طريق النجاة من فتن الدنيا وعذاب الآخرة.

Corruption and its Causes
(Quranic Objective Study)

Abstract: This study is an application sample to the theory of *al-tafseer al mawdou'i* (objective interpretation). It deals with the various etymological forms of *fasaad* (corruption) mentioned in many Quranic *Macci* and *Madani* verses. Specifically, the study focuses on the present, past and past participle forms of *fasaad* with some concentration on the quality meanings, opinions and benefits subtracted from these forms. In addition, the study attempts to induce the various causes of this *fasaad* as revealed by the Quranic verses in order to show the distinctive feature of Quran in serving humans and solving their problems. The main rational behind dealing with such a topic is to change this life of *Omma* that is full of *fasaad* of both the individual and the group in order to save it from the allurements of life and the torture of the life after.

مقدمة :

الحمد لله في السراء والضراء، نحمده تعالى أن بين لنا الخير والشر، لنحرص على الخير وأسبابه، ونتقي الشر وسبله، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

فقد كثر الحديث عن الفساد والمفسدين في هذا الزمان مع ندرة البحوث في هذا الميدان مقابل كثرتها في جوانب الخير والصلاح، إضافة إلى الآثار الخطيرة للفساد على حياة البشرية خاصة، والكون عامة، مما يستدعي البحث الحثيث عن حقيقة الفساد والأسباب المؤدية إليه، ورحم الله حذيفة بن اليمان الذي قال : " كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ..." (صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام - حديث رقم ٣٤١١- مجلد ٣ ص ١٣١٩) وتمانينا أن نبرز المنهج القرآني في بيان حقيقة الفساد وأسبابه المؤدية إليه، وذلك من خلال منهج وصفي موضوعي يجمع الآيات المتعلقة بلفظة الفساد معنونة حسب مشتقاتها وتصاريفها وصيغها، فقد ذكرت هذه اللفظة القرآنية في تسعة وأربعين موضعاً مع الوقوف على الملاحظات المترتبة والمستنبطة من ذلك، ثم القيام باستنباط أسباب الفساد من خلال الآيات القرآنية بما يظهر تميز القرآن في خدمة الحياة الإنسانية ومعالجة قضاياها.

كل ذلك لنستبدل حال الأمة بما وصلت إليه من فساد شمل الفرد والجماعة بحال يجعلها تسير في طريق النجاة من فتن الدنيا وعذاب الآخرة، فتعيش عيشة الأبرار السعداء في الدنيا والآخرة والله الهادي إلى سواء السبيل.

وتحقيقاً لهدف البحث وغايته فقد جعلنا البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة وذلك كما يلي:-

المقدمة وفيها أهمية البحث وغايته وهيكليته

المبحث الأول: وقفات حول الفساد

- **المطلب الأول: تعريف الفساد لغة واصطلاحاً**
- **المطلب الثاني: الفساد في ضوء السياق القرآني**

المبحث الثاني: أسباب الفساد في ضوء القرآن الكريم

وفيه تسعة أسباب في تسعة مطالب:

- **المطلب الأول: اتباع الهوى**
- **المطلب الثاني :اعتقاد تعدد الآلهة**
- **المطلب الثالث: ترك الجهاد في سبيل الله**
- **المطلب الرابع: ظهور المترفين**
- **المطلب الخامس: العلو والطغيان**
- **المطلب السادس: فساد الملوك**
- **المطلب السابع: طاعة المسرفين**

المطلب الثامن: ترك الولاء للمؤمنين والبراءة من المشركين
المطلب التاسع: الفراغ مع وفرة الطعام
فهرس المراجع

المبحث الأول

وقفات حول الفساد

وفيه مطلبان

المطلب الأول تعريف الفساد لغة واصطلاحاً

أولاً: الفساد لغة

الفساد: "الفاء والسين والدال كلمة واحدة، فسد الشيء يفسد فساداً وفسوداً وهو فاسد وفسيد"(1)، ويقال: "قوم فَسدى كما قالوا ساقِطٌ وسقْطَى، قال سيبويه جمعوه جمع هلْكى لتقاربهما في المعنى...، وتَفَاسد القوم تدابروا وقطعوا الأرحام...، والمفْسدةُ خلاف المصلَحة...، والاستفساد خلاف الاستصلاح...، وقالوا هذا الأمر مفْسدةٌ لكذا أي فيه فساد وفَسد الشيء إذا أباره(2)"(3)

وقيل: "فَسد كنَصر ...، ضِد صلُح فهو فاسِد، وفَسيد من فَسدى ولم يسمع: انْفَسد"(4)، "وقد اخْتَلَفت عباراتُهم في معناه فقيل: فَسد الشيء: بطَلَ واضمحلّ ويكون بمعنَى تَغَير"(5)

وقيل الفساد: "بمعنى الجدب، قال عز وجل: **ظَهر الفَساد فِي البر والبحر...** (6)، قيل: الفساد هنا الجدب في البر والقحط في البحر أي في المدن التي على الأنهار**(7)**

وقيل: الفساد خروج الشيء عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أو كثيراً ويضاده الصلاح، ويستعمل ذلك في النفس والبدن والأشياء الخارجة عن الاستقامة (8)،

---

(1) معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس ـ ص٧٤٨
(2) أبار الشيء إذا أهلكه أو أفسده. انظر: لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج٤ص٨٦
(3) لسان العرب ـ ابن منظور ـ مج٣ص٣٣٥ -٣٣٦
(4) القاموس المحيط ـ الفيروزأبادي ـ مج١ص٣٣٥، وانظر: تاج العروس من جواهر القاموس مج٢ ص٤٥٢
(5) تاج العروس من جواهر القاموس ـ مج٢ ص٤٥٢
(6) سورة الروم: ٤١
(7) انظر: معاني القرآن ـ الزجاج ـ ج٤ ص١٨٨
(8) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ـ الراغب الأصفهاني: ص٦٣٦، انظر: المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم ـ نبيل هارون ـ ص١٥٦

ثانياً الفساد اصطلاحاً

قال الطبري: "الفساد هو الكفر والعمل بالمعصية"(1)

قال أبو حيان: " الفساد: التغير عن حالة الاعتدال والاستقامة"(2)

وقال المنصوري**(3)**: "الفساد يتناول جميع أنواع الإثم، فمن عمل بغير أمر الله فهو مفسد"**(4)**.

التعريف الاصطلاحي كما يراه الباحثان:

"هو ما خرج عن حالة الصلاح والاعتدال التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية".

ذلك أن كل ما وافق الكتاب والسنة هو خير وصلاح وأن كل ما خالفهما فهو شر وفساد.

المطلب الثاني: الفساد في ضوء السياق القرآني

سنعرض في هذا المطلب جدولين أحدهما يعرض الآيات المكية التي تحمل لفظة الفساد، والآخر بالآيات المدنية لنرى من خلال ذلك الكم الذي ورد به هذا اللفظ القرآني مع دراسة الصيغ والتصاريف والاشتقاقات التي ورد به هذا اللفظ، واستعراض الملاحظات الخاصة والعامة واستنباط العبر والعظات وذلك فيما يلي:-

أولاً: جدول يبين الآيات المكية التي تضمنت مشتقات فسد

الرقم	الشاهد من الآية	المفردة	السورة
١	**ولا تُفْسِدوا فِي الأرض بعد إِصلاحِها وادعوه خَوفاً وطَمعاً**	تفسدوا	الأعراف:٥٦
٢	**... فَاذْكُروا آلاء اللهِ ولا تَعثَوا فِي الأرض مفْسِدِين**	مفسدين	الأعراف:٧٤
٣	**..ولا تَبخَسوا الناس أَشْياءهم ولا تُفْسِدوا فِي الأرض بعد إِصلاحِها**	تفسدوا	الأعراف:٨٥
٤	**واذْكُروا إِذْ كُنْتُم قَلِيلاً فَكَثَّركُم وانْظُروا كَيفَ كَان عاقِبةُ الْمفْسِدِين**	مفسدين	الأعراف:٨٦
5	**... فَانْظُر كَيفَ كَان عاقِبةُ الْمفْسِدِين**	مفسدين	الأعراف:١٠٣

---

(1) جامع البيان عن تأويل آي القرآن - ابن جرير الطبري - ج١ص٩٧

(2) البحر المحيط - ابو حيان الاندلسي - مج١ ص١٩١

(3)ولد في مدينة حصن بالمنصور عام ١٣٠٧هـ ، واسمه: مصطفى بن ميمش بن الحسين، صاحب تفسير مقتطف من عيون التفاسير توفي سنة ١٣٩٠هـ ودفن في اسطمبول. انظر: المقتطف من عيون التفاسير - مصطفى الحصن المنصوري - مقدمة الكتاب (بيد إبراهيم طانير- أحد أصدقاء المؤلف).

(4) المقتطف من عيون التفاسير - مصطفى الحصن المنصوري - ص٣٩

٦	**وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض...**	يفسدوا	الأعراف:١٢٧
٧	**... ولا تتبع سبيل المفسدين**	مفسدين	الأعراف:١٤٢
٨	**ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين**	مفسدين	يونس: ٤٠
٩	**.ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين**	مفسدين	يونس:٨١
١٠	**آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين**	مفسدين	يونس: ٩١
١١	**... ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين**	مفسدين	هود:٨٥
١٢	**فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض**	الفساد	هود:١١٦
١٣	**قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين**	نفسد	يوسف:٧٣
١٤	**... زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون**	يفسدون	النحل:٨٨
١٥	**وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ...**	تفسدن	الاسراء:٤
١٦	**قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض ...**	مفسدون	الكهف:٩٤
١٧	**لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله لفسدتا**	فسدت	الانبياء:٢٢
١٨	**ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن**	فسدت	المؤمنون:٧١
١٩	**الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون**	يفسدون	الشعراء:٥٢
٢٠	**ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين**	مفسدين	الشعراء:١٨٣
٢١	**... فانظر كيف كان عاقبةُ المفسدين**	مفسدين	النمل:١٤
٢٢	**قالت إن الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوها وجعلوا أعزة**	أفسدوا	النمل:٣٤

	أهلها أذلةً		
٢٣	**وكان في المدينة تسعةُ رهطٍ يفسدون في الأرض ولا يصلحون**	يفسدون	النمل:٤٨
٢٤	**إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعفُ طائفةً منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين**	مفسدين	القصص:٤
٢٥	**وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين**	الفساد، المفسدين	القصص:٧٧
٢٦	**تلك الدار الآخرةُ نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً.**	فسادا	القصص:٨٣
٢٧	**قال رب انصرني على القوم المفسدين**	مفسدين	العنكبوت:٣٠
٢٨	**..يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين**	مفسدين	العنكبوت:٣٦
٢٩	**ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبتْ أيدي الناس**	الفساد	الروم:٤١
٣٠	**أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض**	مفسدين	ص:٢٨
٣١	**وقال فرعون ذروني أقتلْ موسى وليدع ربه إني أخافُ أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد**	الفساد	غافر:٢٦
٣٢	**فأكثروا فيها الفساد**	الفساد	الفجر:١٢

ثانياً: جدول يبين الآيات المدنية التي تضمنت مشتقات فسد

الرقم	**الشاهد من الآية**	**المفردة**	**السورة**
١	**وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون**	تفسدوا	البقرة:١١
٢	**ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**	مفسدون	البقرة:١٢
٣	**... ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض ...**	يفسدون	البقرة:٢٧

٤	**قَالُوا أَتَجعلُ فِيها من يفْسِد فِيها ويسفِك الدماء**	يفسد	البقرة: ٣٠
٥	**... كُلُوا واشْربوا مِن رزق اللهِ ولا تَعثَوا فِي الأرض مفْسِدِين**	مفسدين	البقرة: ٦٠
٦	**... وإِذَا تَولى سعى فِي الأرض لِيفْسِد فِيها ويهلِك الْحرثَ والنسلَ والله لا يحِب الْفَساد**	يفسد، الفساد	البقرة:٢٠٥
٧	**...وإِن تُخَالِطُوهم فَإِخْوانُكُم والله يعلَم الْمفْسِد مِن الْمصلِحِ ...**	المفسد	البقرة: ٢٢٠
٨	**ولَولا دفْع اللهِ الناس بعضهم بِبعضٍ لَفَسدتِ الأرض**	فسدت	البقرة: ٢٥١
٩	**فَإِن تَولوا فَإِن الله علِيم بِالْمفْسِدِين**	مفسدين	آل عمران: ٦٣
١٠	**مِن أَجلِ ذَلِك كَتَبنَا علَى بنِي إِسرائِيلَ أَنه من قَتَلَ نَفْساً بِغَيرِ نَفْسٍ أَو فَسادٍ فِي الأرضِ ...**	فساد	المائدة:٣٢
١١	**إِنما جزاء الذِين يحارِبون الله ورسوله ويسعون فِي الأرض فَساداً أَن يقَتلُوا ...**	فساداً	المائدة:٣٣
١٢	**....ويسعون فِي الأرض فَساداً والله لا يحِب الْمفْسِدِين**	فساداً ، مفسدين	المائدة:٦٤
١٣	**والذِين كَفَروا بعضهم أَولِياء بعضٍ إِلا تَفْعلُوه تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأرض وفَساد كَبِير**	فساد	أنفال:٧٣
١٤	**ويقْطَعون ما أَمر الله بِهِ أَن يوصلَ ويفْسِدون فِي الأرض ....**	يفسدون	لرعد:٢٥

من خلال الجدولين السابقين نلاحظ ما يلي:-

أولاً: وردت مادة فسد في السياق القرآني تسعاً وأربعين مرة، ثلاث وثلاثون في السور المكية، وست عشرة في السور المدنية، في ست وأربعين آية، اثنتين وثلاثون آية في السور المكية، وأربع عشرة آية في السور المدنية، وقد وجِدتْ هذه الآيات في اثنتين وعشرين سورة، ست عشرة منها مكية، وست سور مدنية.

ثانياً: الآيات المكية التي تتحدث عن الفساد والمفسدين، ضعف الآيات المدنية التي تناولت ذات الموضوع، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة المجتمع المكي الذي كانت تسوده روح الجاهلية وتعاليمها

الفاسدة، ويتزعم قيادة المجتمع أهل الفساد، لذا فقد أولى القرآن الكريم ظاهرة الفساد اهتماماً كبيراً، بهدف استئصال هذه الآفة من جذورها، وتطهير المجتمع من أرجاسها.

أما في المدنية، فالأمر على خلاف ذلك، فالقيادة للنبي ﷺ ، والأمة عاشت تعاليم القرآن الكريم، ولم يعد للمفسدين شأن ولا سلطان، لذا كان عدد الآيات المدنية التي تناولت الفساد نصف الآيات المكية، وقد نزلت لفضح فساد المنافقين والمندسين في صفوف المؤمنين.

ثالثا: لمادة فسد في القرآن الكريم أربع صيغ وهي كما يلي:

١ - الفعل الماضي بصيغتي: " فَسد، أَفْسد"

ورد الفعل الماضي من مادة فسد في السياق القرآني أربع مرات، وبيان ذلك فيما يلي: ـ

أ) قال تعالى: **ولولا دفْع اللهِ الناس بعضهم ببعض لفَسدتِ الأرض ولكِن الله ذُو فَضل على العالمِين** (1)، وقد جاء الفعل في الآية الكريمة في سياق تأكيد فساد الأرض، إذا أطلقت يد الباطل تعيث(2) فيها دون ردع.

ب) قال تعالى: **لو كان فِيهما آلِهةٌ إِلا الله لفَسدتَا فَسبحان اللهِ رب العرش عما يصِفُون** (3)، جاء الفعل في سياق الحديث عن حقيقة الوحدانية لله تعالى، وفساد الكون لو ثبت تعدد الآلهة.

ج) قال تعالى: **ولو اتبع الحق أَهواءهم لفَسدتِ السماواتُ والأرض ومن فِيهن** (4)، جاء الفعل في سياق الحديث عن حقيقة فساد الكون إذا أُخْضِع الحق للهوى.

د) قال تعالى: **قالَتْ إِن الملوك إِذَا دخَلُوا قَريةً أَفْسدوها وجعلُوا أَعِزة أَهلِها أَذِلةً وكَذَلِك يفْعلُون** (5)، جاء الفعل في سياق الحديث عن حقيقة إفساد ملوك الأرض، خاصةً عند دخولهم البلاد على أهلها عنوة(6).

ملاحظات على الفعل الماضي من مادة فسد

أ ـ جاء الفعل الماضي من مادة فسد في القرآن الكريم لإثبات سننٍ وحقائق متنوعة وهي كما يلي: ـ

ـ سنة التدافع التي تقوم على دفع أهل الباطل بأهل الحق، للحفاظ على صلاح الناس.

---

(1) البقرة: ٢٥١.

(2) العيث: سرعة الإفساد، انظر: لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج٢ص١٧٥.

(3) الأنبياء: ٢٢.

(4) المؤمنون: ٧١.

(5) النمل: ٣٤.

(6)انظر: جامع البيان في تفسير آي القرآن ـ الطبري ـ .م٩ج١٨ص٥١٥

- حقيقة الوحدانية للخالق عز وجل، واستحالة تعدد الآلهة.
- حقيقة منطقية، وهي عدم التوافق المطلق بين الحق والهوى(1).
- حقيقة سياسية وهي إفساد ملوك الدنيا وأمرائها في الأرض.

ب ـ لما كان الحديث عن السماوات والأرض استخدم الفعل فسد، وهذا يعني أن الفساد في حقهما بفعل مؤثر خارجي، ولما كان الحديث عن الإنسان استخدم الفعل أفسد، وهذا يفيد أن الفساد يصدر عن المكلفين، فالفساد نتيجة مخالفة أمر الخالق جل وعلا، ولا يخالف أمره إلا الإنس والجن.

٢- الفعل المضارع

جاء الفعل المضارع من مادة فسد في القرآن أربع عشرة مرة، وهي كما التالي:-

أ) **مجرد من الضمائر وفاعله يعود على الفرد،** وذلك في موضعين وهي كما يلي: ـ

ـ **قالُوا أَتَجعلُ فِيها من يفْسِد فِيها ويسفِك الدماء ونَحن نُسبح بِحمدِك ونُقَدس لَك...** (2).

ـ **وإِذَا تَولى سعى فِي الأَرضِ لِيفْسِد فِيها ويهلِك الحرثَ والنسلَ والله لا يحِب الفَساد** (3).

ب) أحد عشر موضعاً متصلاً بواو الجماعة، لأغراض متعددة وهي كما يلي: ـ

١ ـ **النهـي عن الفساد في الأرض،** وكان الخطاب في كل آية موجهاً لفئة من الناس وبيان ذلك فيما يلي: ـ

ـ **النهـي للمنافقيـن عمومـاً،** قال تعالى: **وإِذَا قِيلَ لَهم لا تُفْسِدوا فِي الأَرضِ قَالُوا إِنما نَحن مصلِحون** (4).

ـ **النهي لمدين** بصورة **خاصة،** قال تعالى: **وإِلَى مدين أَخَاهم شُعيباً قَالَ يا قَومِ اعبدوا الله... ولا تُفْسِدوا فِي الأَرضِ بعد إِصلاحِها...** (5).

ـ **النهـي للناس عامة،** قال تعالى: **ولا تُفْسِدوا فِي الأَرضِ بعد إِصلاحِها وادعوه خَوفاً وطَمعاً إِن رحمتَ اللهِ قَرِيب من المحسِنين** (6).

٢ ـ **في بيان عقوبة المفسدين يوم القيامة،** وبيان ذلك كما يلي: ـ

---

(1) انظر: المنطلق ـ محمد أحمد الراشد ـ ص٤٢.
(2) البقرة: ٣٠.
(3) البقرة: ٢٠٥.
(4) البقرة: ١١.
(5) الأعراف: ٨٥.
(6) الأعراف: ٥٦.

- **الذِين ينقُضون عهد اللهِ مِن بعدِ مِيثاقِهِ ويقطعون ما أمر الله بِهِ أن يوصلَ ويفسِدون فِي الأرض أُولئِك هم الخاسِرون** (1).

- **...ويفسِدون فِي الأرض أُولئِك لهم اللعنةُ ولهم سوء الدارِ** (2).

- **الذِين كفروا وصدوا عن سبِيلِ اللهِ زِدناهم عذاباً فوقَ العذابِ بِما كانُوا يفسِدون** (3).

٣ - **التحذير من الأعمال التي تكون سببا للفساد في الأرض،** قال تعالى: **فهلْ عسيتُم إِن تَوليتُم أن تُفسِدوا فِي الأرض وتُقطعوا أرحامكُم** (4).

٤ - **التحذير من طاعة المسرفين،** قال تعالى: **ولا تُطِيعوا أمر المسرِفِين * الذِين يفسِدون فِي الأرض ولا يصلِحون** (5).

٥ - **الأمم تنعت بعضها بالفساد،** قال تعالى: **وقالَ الملأ مِن قومِ فِرعون أتذَر موسى وقومه لِيفسِدوا فِي الأرض ويذَرك.....** (6).

٦ - **بيان شدة فساد ثمود،** قال تعالى: **وكان فِي المدِينَةِ تِسعةُ رهطٍ يفسِدون فِي الأرض ولا يصلِحون** (7).

٧ - **تأكيد فساد بني إسرائيل:** قال تعالى: **وقضينا إِلى بنِي إِسرائِيلَ فِي الكِتابِ لتُفسِدن فِي الأرض مرتَين ولتَعلُن علواً كبِيراً** (8)

ج) **موضع واحد متصل بنون الجمع في أول الفعل،** حكاية عن أخوة يوسف عليه السلام، حين نفوا ما نسب إليهم من سرقة صواع الملك، قال تعالى: **...قالُوا تاللهِ لقد عِلمتُم ما جِئْنا لِنُفسِد فِي الأرض وما كُنا سارِقِين** (9).

ملاحظتان على ورود الفساد بصيغة المضارع:

أ - ورد الفعل المضارع من مادة فسد في القرآن في اثني عشر موضعاً متصلاً بواو الجماعة أو نونها للإخبار عن الجمع، وفي موضعين مجرداً، وهما: قوله تعالى: **قالُوا أتَجعلُ فِيها من يفسِد**

---

(1) البقرة:٢٧.
(2) الرعد: ٢٥.
(3) النحل: ٨٨.
(4) محمد: ٢٢.
(5) الشعراء: ١٥٢.
(6) لأعراف: ١٢٧.
(7) النمل: ٤٨.
(8) الإسراء: ٤
(9) يوسف: ٧٣.

فِيها... (1)، وقوله تعالى: **وإِذَا تَولى سعى فِي الْأرضِ لِيفْسِد فِيها ويهلِك الْحرثَ والنسلَ...** (2)، لذلك يمكن القول بأن القرآن الكريم أولى الفساد الذي تمارسه الجماعة من العناية والاهتمام أضعاف ذاك الذي يمارسه شخص بمفرده، وفي ذلك إشارة إلى خطورة الجماعات البشرية المفسدة على الكون برمته، وأنها أحرى أن يتنبه المصلحون لخطرها.

ب ـ ورد فعل الفساد من مادة فسد في كل السياق القرآني مبنياً للمعلوم، وذلك لكشف اللثام عن المفسدين وعدم التستر عليهم، وبيان أحوالهم، وفضح سلوكهم، لعظم خطرهم في حياة الأمم والشعوب. وأما قراءة ابن عباس لقوله تعالى ...لَتُفْسدن... قيل المقصود يفسدكم غيركم(3)، ويقصد بالفساد على هذا المعنى التدمير وخراب الديار، وقد بين سياق الآيات أن دمار ديارهم يكون على يد عباد لله، قال تعالى: **فَإِذَا جاء وعد أُولاهما بعثْنَا علَيكُم عِباداً لنَا أُولِي بأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسوا خِلالَ الديارِ وكَان وعداً مفْعولاً** (4).

٣- اسم الفاعل

جاء اسم الفاعل من مادة فسد من الفعل الماضي الرباعي ـ أفسد فهو مفْسِد ـ إحدى وعشرين مرة، ويمكن إدراجها تحت العناوين التالية: -

أ) **النهي عن الفساد،** قال تعالى:

- **.. كُلُوا واشْربوا مِن رِزقِ اللهِ ولا تَعثَوا فِي الأَرضِ مفْسِدِين** (5).
- **.. فَاذْكُروا آلاء اللهِ ولا تَعثَوا فِي الأَرضِ مفْسِدِين** (6).
- **ويا قَومِ أَوفُوا الْمِكْيالَ والْمِيزان بِالْقِسطِ ولا تَبخَسوا الناس أَشْياءهم ولا تَعثَوا فِي الأَرضِ مفْسِدِين** (7).
- **ولا تَبخَسوا الناس أَشْياءهم ولا تَعثَوا فِي الأَرضِ مفْسِدِين** (8).

---

(1) البقرة: ٣٠.

(2) البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥.

(3)انظر: الكشاف ـ الزمخشري ـ ج٢ص٤٣٨، انظر: الأفعال في القرآن الكريم ـ عبد الحميد السيد ـ ج٢ص ١٠٤٥

(4) الإسراء: ٥

(5) البقرة: ٦٠.

(6) الأعراف: ٧٤.

(7) هود: ٨٥.

(8) الشعراء: ١٨٣.

ـ **وإلى مدين أَخاهم شُعيبا فقالَ ياقَومِ اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخِر ولا تَعثَوا فِي الأرض مفْسِدِين** (1).

ـ **.. وقالَ موسى لِأَخِيهِ هارون اخْلُفْنِي فِي قَومِي وأَصلِح ولا تَتبِع سبِيلَ المفْسِدِين** (2).

ب) **المفسدون طغاة معتدون أو منافقون،** قال تعالى:

ـ **الآن وقد عصيتَ قبلُ وكُنْتَ مِن المفْسِدِين** "(3)، والمقصود هنا فرعون.

ـ **قالُوا يا ذَا القَرنَين إن يأْجوج ومأْجوج مفْسِدون فِي الأرض...** (4).

ـ **إن فِرعون علا فِي الأرض وجعلَ أَهلها شِيعاً يستَضعِفُ طَائِفَةً مِنْهم يذَبح أَبنَاءهم ويستَحيِي نِساءهم إنه كَان مِن المفْسِدِين** (5).

ـ **وإذَا قِيلَ لَهم لا تُفْسِدوا فِي الأرض قَالُوا إنما نَحن مصلِحون * أَلا إنهم هم المفْسِدون ولَكِن لا يشْعرون** (6).

ـ **فَلَما القَوا قَالَ موسى ما جِئْتُم بِهِ السحر إن الله سيبطِلُه إن الله لا يصلِح عملَ المفْسِدِين** (7).

ج) **العبرة من مصير المفسدين،** قال تعالى:

ـ **.. واذْكُروا إذْ كُنْتُم قَلِيلاً فَكَثَّركُم وانْظُروا كَيفَ كَان عاقِبةُ المفْسِدِين** "(8).

ـ **ثُم بعثْنَا مِن بعدِهِم موسى بِآياتِنَا إلَى فِرعون وملَئِهِ فَظَلَموا بِها فَانظُر كَيفَ كَان عاقِبةُ المفْسِدِين** (9).

ـ **وجحدوا بِها واستَيقَنَتْها أَنفُسهم ظُلْما وعلُوا فَانظُر كَيفَ كَان عاقِبةُ المفْسِدِين** (10).

---

(1) العنكبوت: ٣٦.
(2) الأعراف: ١٤٢.
(3) يونس: ٩١.
(4) الكهف: ٩٤.
(5) القصص: ٤.
(6) البقرة: ١٢.
(7) يونس: ٨١.
(8) الأعراف: ٨٦.
(9) الأعراف: ١٠٣.
(10) النمل: ١٤.

د) **بغض الله تعالى للمفسدين**، قال تعالى:

ـ **...كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين** "(1).

- **.. ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين** (2).

ـ **أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** (3).

هـ - **المفسدون لا يخفون على الله**، قال تعالى:

ـ **فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين** (4).

ـ **ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين** (5).

و ـ) الاستنصار على المفسدين، قال تعالى:

ـ **قال رب انصرني على القوم المفسدين** (6).

وقد ورد اسم الفاعل مفرداً مرة واحدة، قال تعالى: **والله يعلم المفسد من المصلح** (7)، والمقصود به هنا جنس المفسدين وليس مفسداً بعينه.

ملاحظتان على ورود اسم الفاعل:

أ ـ جاء اسم الفاعل في السياق القرآني بصيغة مفسد مشتقاً من الفعل المتعدي أفسد(8)، ولم يأت مطلقا بصيغة فاسد من الفعل فسد، فالقرآن الكريم يعلنها حرباً على المفسدين لخطرهم على المجتمعات البشرية والكون من حولهم، لذا فضح السياق القرآني المفسدين العاملين على نشر الفساد، ولم يذكر الفاسدين بشيء، وهذا يظهر تلطف القرآن الكريم مع الناس، فمن لم يجاهر بالفساد ولم يسهم في إشاعته ستره الله، فلعل ذلك يكون أدعى لصلاحه.

ب ـ وردت لفظة المفسدين عشرين مرة، بينما لم ترد لفظة المفسد إلا مرة واحدة، وهذا يعزز لدى الباحثين القول بأن القرآن الكريم يولي فساد الجماعة وإفسادها من الاهتمام ما لم يول فساد

---

(1) المائدة: ٦٤.

(2) القصص: ٧٧.

(3) ص: ٢٨.

(4) آل عمران: ٦٣.

(5) يونس: ٤٠.

(6) العنكبوت: ٣٠.

(7) البقرة: ٢٢٠.

(8) انظر: الأفعال في القرآن الكريم ـ عبد الحميد السيد ـ ج٢ص١٠٤٥

الفرد، أما قوله تعالى: **...والله يعلم المفسد من المصلح...** (1)، فالمراد به جنس المفسدين وليس مفسداً بعينه، فلام التعريف هنا جنسية، فالله سبحانه وتعالى يعلم من حاله الصلاح ويعلم من حاله الفساد.

٤ـ المصدر

ورد المصدر من الفعل الثلاثي فسد بصيغة ـ فساداً ـ في السياق القرآني أحدى عشر مرة، يمكن إدراجها تحت العناوين التالية: ـ

أ) سوء عاقبة الفساد، قال تعالى:

ـ وفرعون ذي الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد (2).

ـ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً... (3).

ـ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم (4).

ب) النهي عن الفساد، قال تعالى: ـ **فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين** (5).

ـ ...وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين (6).

ـ وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد (7).

ج) بيان سبب الفساد، قال تعالى:

---

(1) البقرة: ٢٢٠.
(2) الفجر: ١٢.
(3) المائدة: ٣٢.
(4) المائدة: ٣٣.
(5) هود: ١١٦.
(6) القصص: ٧٧.
(7) غافر: ٢٦.

- **ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون** (1).
- **...كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً...** (2).
- **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** (3).

د ـ) **بغض** الله **للفساد،** قال تعالى:

- **وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد** (4).

هـ) في الثناء على من رفض الفساد، قال تعالى:

- **تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين** (5).

ملاحظة عامة:

وردت مادة فسد في السياق القرآني بصيغة الفعل الماضي، والمضارع، واسم الفاعل، والمصدر، ولم ترد بصيغة الأمر، ولا المبالغة ولا المدح، ذلك أن القرآن الكريم قد جاء حرباً على الفساد ولم يمدحه ولم يأمر به بأي حال من الأحوال.

المبحث الثاني

أسباب الفساد في ضوء القرآن الكريم

وفيه تسعة أسباب في تسعة مطالب:

المطلب الأول: اتباع الهوى

الهوى: ميل النفس إلى الشهوة، وقيل: سمي الهوى بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية، والهوي: سقوط من علو إلى سفل(6).

وقال الشعبي(7): "إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار"(8).

---

(1) الروم: ٤١.

(2) المائدة: ٦٤.

(3) الأنفال: ٧٣.

(4) البقرة: ٢٠٥.

(5) القصص: ٨٣

(6) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ـ الأصفهاني ـ ص٨٤٩

(7) عامر الشعبي ـ وهو ابن شراحيل أبو عمرو، كوفى، تابعي ثقة، رأى على بن أبى طالب وروى عنه، انظر: الجرح والتعديل ـ ابن أبي حاتم ـ ج٦ ص٣٢٢

(8) أدب الدنيا والدين ـ أبو الحسن الماوردي ـ ص١٤

قال تعالى **ولو اتبع الحق أَهواءهم لفَسدتْ السماواتُ والأرض ومن فِيهن بل أَتَينَاهم بِذِكْرِهِم فَهم عن ذِكْرِهِم معرِضون**(1)، أي: "لو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون، وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم، وترك الحق الذي هم له كارهون، لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن"(2)، **وقيل**: "المراد لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من شَرعِ الهوى، وشَرع الأمور على وفق ذلك، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، أي لفساد أهوائهم واختلافهم"(3).

ومن الملاحظ أن الهوى ما جاء في القرآن الكريم إلا مذموماً، وما نُسِب إلا لأهل الفساد والضلال، قال تعالى: **.. ولا تَتبِعوا أَهواء قَومٍ قَد ضلوا مِن قَبلُ...**(4)، **وإِن كَثِيرا ليضِلون بِأَهوائِهم ..**(5)، **ولا تَتبِع أَهواء الذِين كَذبوا...**(6).

ويمكن حصر الفساد الناتج عن الهوى كما بينه القرآن في النقاط التالية:ـ

١ـ الهوى وثن يعبد من دون الله، قال تعالى: **أَفَرأَيتَ من اتخَذَ إِلهه هواه وأَضله اللهُ على عِلمٍ**(7).

٢ـ الهوى يفضي إلى الظلم، قال تعالى محذراً نبيه ﷺ: **ولئِن اتبعتَ أَهواءهم مِن بعدِ ما جاءك مِن العِلمِ إِنك إِذًا لمِن الظالمِين**(8).

٣ـ الهوى يصد عن الحق، فقد حذر الله تعالى نبيه داود عليه السلام من الهوى فقال: **ياداوود إِنا جعلنَاك خَليفَةً فِي الأَرضِ فَاحكُم بين الناسِ بِالحق ولا تَتبِعِ الهوى فَيضِلك عن سبِيلِ اللهِ...**(9).

٤ـ الهوى استدراج من الشيطان، فقد وجه الله نبيه ﷺ للبعد عن الشرك بالله في الدعاء لأنه من استهواء واستدراج الشياطين، قال تعالى: **قُلْ أَندعو مِن دونِ اللهِ ما لا ينْفَعنَا ولا يضرنَا ونُرد على أَعقَابِنَا بعد إِذْ هدانَا الله كَالذِي استَهوتْه الشياطِين فِي الأَرضِ حيران...**(10).

---

(1) المؤمنون: ٧١

(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ الطبري ـ م٩ج١٨ص٣٣

(3) تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ ج٥ص ٤٩٦.

(4) المائدة: ٧٧.

(5) الأنعام: ١١٩.

(6) الأنعام: ١٥٠.

(7) الجاثية: ٢٣.

(8) البقرة: ١٤٥.

(9) سورة ص: ٢٦.

(10) الأنعام: ٧١.

٥ ـ **الهوى يصد عن الهدى**، قال تعالى: **فَإِن لم يستَجِيبوا لك فَاعلم أَنما يتبِعون أَهواءهم...** (1).

٦ـ **الهـوى ينسـي يـوم الحساب**، قال تعالى: **فَلا يصدنك عنْها من لا يؤْمِن بِها واتبع هواه فَتَردى** (2).

٧ـ **الهوى يصد عن الدعوة والاستقامة**، قال تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: **..فَادع واستَقِم كَما أُمِرتَ ولا تَتبِع أَهواءهم...** (3).

٨ـ **الهوى يورث الكبر**، قال تعالى: **أَفَكُلما جاءكُم رسولٌ بِما لا تَهوى أَنفُسكُم استَكْبرتُم...** (4)

.

٩ـ **الهوى نقيض العدل**، قال تعالى: **فَلا تَتبِعوا الهوى أَن تَعدِلُوا...** (5).

١٠ ـ **الهوى خلاف الوحي**، قال تعالى: **وما ينْطِقُ عن الهوى * إِن هو الا وحي يوحى** (6).

فـأي فسـاد أعظـم من تلك الصفات الذميمة التي يورثها الهوى لأتباعه، والتي تكفي الواحـدة مـنها أن تفسد أمة بأكملها، لذلك كان ترك الهوى سبيل النجاة يوم القيامة، قال تعالى: **وأَما من خَافَ مقام ربِهِ ونَهى النفْس عن الهوى * فَإِن الجنةَ هِي المأْوى** (7).

ومـن لطـائف الكلام أن لفظة الهوى عند تعلقها بالأمة ما جاءت في القرآن الكريم إلا بصـيغة الجمع، **(أهواءهم)**، ولم تأت بلفظ **(هواهم)** قط، وفي ذلك إشارة بتعدد الهوى، وأن لكل شـخص مـن القوم هوى خاصاً به، وهذه دلالة واضحة على استحالة جمع الأمة على رأي تبعاً للهوى(8) ، مما يفضي إلى الفساد.

المطلب الثاني: اعتقاد تعدد الآلهة

---

(1) القصص: ٥٠.
(2) طه: ١٦.
(3) الشورى: ١٥.
(4) البقرة: ٨٧.
(5) النساء: ١٣٥.
(6) النجم: ٣.
(7) النازعات: ٤٠.
(8) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ـ الأصفهاني ـ ص٨٤٩ .

آلهـة فـي اللغة: جمع إله، وهو اسم لكل معبود، بحق أو بغير حق، ومنه لفظ الجلالة "الله"، أدخلت عليه الألف واللام وحذفت الهمزة، وأصبح علماً على الباري تعالى، ولتخصصه به (1) قال تعالى: **...هلْ تَعلم له سميا** (2).

قـال تعـالى: **أم اتخَذُوا آلهةً مِن الأرض هم ينشِرون * لو كان فِيهما آلهةٌ الا اللهُ لفَسـدتَا فَسـبحان اللهِ رب العـرش عما يصِفُون** (3)، أي: "لو كان في السموات والأرض آلهة تصـلح لهم العبادة سوى الله، الذي هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهية التي لا تصلح إلا له، **لفسـدتا** أي: لفسد أهل السموات والأرض"(4)، وقيل: "لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة لأن كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام"(5).

وتحسـن الإشارة إلى أن الآيتين مكيتان، وتتناولان مسألة من أهم مسائل العقيدة، وهي فساد اعتقاد تعدد الآلهة كما يزعم المشركون، وهذا الاعتقاد يفسد على الناس حياتهم، ويرجع هذا الفساد لسببين:

الأول: إن هـذه الآلهـة التي اتخذوها من دون الله لا تملك ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا، وهذا يطلق العنان للمفسدين، فيفسدوا على الناس حياتهم، ويفقدونهم أمنهم، دون طمع في ثواب، أو ردع من عقاب.

ملاحظة :

ويرى الباحثان أن "السبب الثاني" ذو بعد إداري، فأي عمل له رأسان بالصلاحية والمهام نفسها، سينتهي أمره إلى الفشل والفساد، بسبب التنازع الذي سينشأ بين هذين الرأسين.

المطلب الثالث: ترك الجهاد في سبيل الله

---

(1) انظر: المرجع السابق ـ ص٨٢.

(2) مريم: ٦٥.

(3) الأنبياء: ٢١، ٢٢.

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ ابن جرير الطبري ـ م٩ج١٧ ص١١.

(5) معالم التنزيل ـ الحسين بن مسعود الفراء البغوي ـ ج١ ص٣١٤.

الجهاد: هو "استفراغ الوسع في طلب العدو، وهو ثلاثة: جهاد العدو الظاهر، وجهاد الشيطان، وجهاد النفس..."(1)

وقد ربط القرآن الكريم بين ترك الجهاد في سبيل الله وبين الفساد ربطاً مباشراً في آيتين، وهما كما يلي: ـ

الآية الأولى: قوله تعالى: **فهزموهم بإذْنِ اللهِ وقتل داود جالوتَ وآتاه اللهُ الملكَ والحِكْمةَ وعلمه مما يشاَء ولولا دفْع اللهِ الناس بعضهم ببعضٍ لفسدتِ الأرض ولكِن اللهَ ذُو فضلٍ على العالمِين"(2)،** وللمفسرين في الآية قولان:

الأول: لولا أن الله يدفع العقاب عن العصاة بأهل الصلاح، لعجل العصاة بعقوبة سريعة، ولأهلك أهل الأرض فلم يبق عليها أحداً، ولكن الله متفضل على عباده، يؤخر عنهم العذاب بفضل الصالحين(3) .

الثاني: لولا أن الله سبحانه وتعالى يقيض المؤمنين لقتال الكفار ومجاهدتهم وينصرهم عليهم، ويكف بهم أهل الفساد، لغلب الكافرون المؤمنين وفسدت الأرض، وبطلت منافعها، ولعم الكفر، ونزل السخط واستؤصل أهل الأرض قاطبة(4).

ويرى الباحثان أن الرأي الثاني هو المقدم لسببين هما:

١- أن من ذهب إلى الرأي الأول من العلماء، إنما استدلوا على رأيهم بالحديث المنسوب إلى جابر بن عبد الله مرفوعاً حيث يقول **[إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء]**(5)، وهذا الحديث ضعيف جداً(6) .

٢- أن الآية جاءت في معرض الحديث عن الجهاد في سبيل الله، لوضع حد لظلم جالوت وجنده على بني إسرائيل، فالجو العام للآيات يدور حول الجهاد في سبيل الله، ودفع أهل الباطل بأهل الحق والتصدي لهم، ثم جاء التعقيب على ذلك بقوله تعالى: **...ولولا دفْع اللهِ الناس بعضهم ببعضٍ لفسدتِ الأرض ...** ،

---

(1) التوقيف على مهمات التعاريف ـ محمد عبد الرؤوف المناوي ـ ص٢٦٠ .

(2) البقرة: ٢٥١.

(3) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ـ للطبري ـ ج٢ ص٤٠٤، وانظر: تفسير القرآن العظيم ـ ابن كثير ـ ج١ ص٦٦٢.

(4) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ـ البيضاوي ـ ج١ص١٣١، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ الواحدي ـ ج١ ـ ص١٨١.

(5) المعجم الأوسط ـ الطبراني ـ ج٣ ـ ص١٢٩ـ ح(٤٠٨٠) .

(6) انظر: صحيح وضعيف الجامع ـ الألباني ـ ص٢٣٩ ـ حديث رقم(١٦٥١)

ولعل قوله تعالى: **... ولولا دفْع اللهِ الناس بعضهم ببعضٍ لهدمتْ صوامع وبيع وصلواتٌ ومساجِد يذْكر فِيها اسم اللهِ كثِيرا ...** (1) يؤكد هذا المعنى.

الآية الثانية: قوله تعالى: **فهل عسيتم إن توليتم أن تفْسِدوا فِي الأرض وتُقطعوا أرحامكم** (2)، فقد جاء في معنى التولي قولان:

الأول: التولي بمعنى الإعراض عن الجهاد، أي هل عسيتم إن أعرضتم عن الجهاد ونكلتم(3)، أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، وتعودوا إلى ما كنتم عليه من الجاهلية، وتسفكوا الدماء وتقطعوا الأرحام، وهذا نهي وتحذير عن الإفساد في الأرض(4).

والثاني: التولي بمعنى الولاية، أي فهل عسيتم إن توليتم أمر الأمة أن تفسدوا في الأرض بالظلم والجور(5).

والأظهر في الآية أن المعنى الأول هو الأرجح، حيث يتمني المؤمنون نزول آية محكمة في الجهاد، فلما نزلت آيات الجهاد تثاقلت طائفة، لذلك كان الخطاب تحذيراً لهم، أي هل عسيتم إن أعرضتم عن امتثال أمر الله في القتال وتركتموه أن تفْسدوا فِى لأرض، فتتركوا معونة إخوانكم ولا تناصروهم، فتقطعوا ما بينكم وبينهم من صلة الرحم(6).

وأما المعنى الثاني فله ما يعززه من قراءة علي رضي الله عنه حيث قرأها (تُوليتُم) بضم التاء والواو، وهي من الولاية(5).

ومما سبق من عرض المعنى الإجمالي للآيات، يرى الباحثان أن القرآن الكريم يقرر ما يلي: -

١ - الجهاد في سبيل الله هو السبيل الذي تطهر به الأرض من عبث المفسدين، وتسود بسببه الفضيلة وتستقيم الحياة.

---

(1) الحج: ٤٠ .

(2) محمد: ٢٢.

(3) نكلتم: أي جبنتم. لسان العرب - ابن منظور - ج١١ص٦٧٧

(4) انظر: تفسير القرآن العظيم - ابن كثير - ج٧ص ٣١٩.

(5) انظر: فتح القدير - للشوكاني - ج5 ص٣٨.

(6) انظر: البحر المحيط - أبو حيان - ج٨ص٨٢

٢ـ ترك الجهاد والتثاقل إلى الأرض يدفع أهل الجور والأهواء ليتصدروا مقاليد الأمور، ويتحكموا بباطلهم في مصائر الشعوب، فيعم الفساد في الأرض وتنتشر الرذيلة، ويهلك الحرث والنسل. ويصدقُ ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح **[ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب]**(1)

المطلب الرابع: ظهور المترفين

والمتْرفُ لغةً: الذي أبطَرتْه النعمةُ وسعة العيش فطْغى(2)، "والترفه: التوسع في النعمة"(3).

وما ذكر الترف في كتاب الله تعالى إلا في معرض الحديث عن الظلم والفسق والفساد في الأرض، أو عند الحديث عن الذين توعدهم الله بالعذاب في الدنيا وفي الآخرة، ويمكن بيان ذلك من خلال الآيات الكريمة التي تناولت الحديث عن المترفين ووصفت أحوالهم:

١- المترفون ظالمون، قال تعالى: **فَلولا كَانَ مِن القُرونِ مِن قَبلِكُمْ أُولُوا بَقِيةٍ يَنْهَونَ عَنِ الفَسادِ فِي الأرضِ إلا قَليلاً مِمن أَنْجيْنَا مِنْهُم واتبعَ الذِينَ ظَلمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وكَانُوا مُجرمِينَ**(4)، فالظلم آفة كبيرة، يغرس العداوة والأحقاد والتحاسد والتباغض بين أفراد المجتمع، فتفسد العلاقات بين الناس، ولا تستقيم الحياة، ولا يطيب العيش، ويترتب على ذلك ذهاب الدين والفضيلة، وتحل الرذيلة والفرقة والضياع.

٢- تصدر المترفين ينذر بالدمار، قال تعالى: **وإِذَا أَردنَا أَن نُهلكَ قَريةً أَمرنَا مُترَفِيهَا فَفَسقُوا فِيهَا فَحقَ عَليهَا القَولُ فَدمرنَاهَا تَدمِيرا** (5)، فقد أمر الله المترفين على لسان الرسل بالطاعة والعمل الصالح، وخصهم بالأمر لأن غيرهم تبع لهم، فإن فسقوا وتمردوا، وبالغوا في الفحش، فوجب عليهم العذاب، فدمروا تدميراً وأهلكوا هلاك استئصال(6).

٣ - المترفون أعداء الأنبياء، قال تعالى: **وقَالَ المَلأُ مِن قَومِهِ الذِينَ كَفَروا وكَذبوا بِلقَاءِ الآخِرةِ وأَتْرفْنَاهم فِي الحيَاةِ الدنْيا مَا هَذَا إِلا بَشَر مِثْلُكُم يَأكُلُ مِما تَأكُلُونَ مِنْه ويَشرَبُ مِما**

---

(1) المعجم الأوسط ـ الطبراني ـ ج٣ص٥١ـ حديث رقم(٣٨٣٩)، قال عنه الألباني: صحيح. انظر: السلسلة الصحيحة ـ ناصر الدين الألباني ـ ج٦ص١٦٥ ـ حديث رقم(٢٦٦٣).

(2) انظر: لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج٩ص١٧.

(3) مفردات ألفاظ القرآن ـ الأصفهاني ـ ص١٦٦.

(4) هود: ١١٦.

(5) الإسراء: ١٦.

(6) انظر: زاد المسير ـ ابن الجوزي ـ ج٢ص٦٣٠، وانظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ علي ابن أحمد الواحدي ـ ج٢ص٨٠٧.

تَشْرَبُونَ (1) وقال: **وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ** (2)، وقال أيضاً **وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** (3)، والمتدبر في هذه الآيات الكريمة يلمس بوضوح أن أهل الترف هم الذين يتصدرون العداء لرسل الله تعالى، فلا يرون الحق إلا ما تسوغه نفوسهم، ويرفضون أن يستوي بهم غيرهم من الناس، فيتذرعون بحجج واهية يبررون لأنفسهم من خلالها العدول عن دين الله والصد عن سبيله.

مما سبق يتبين لنا أن المترفين وراء كل رذيلة في المجتمعات البشرية، وعليه فإن ظهورهم في المجتمع وتصدرهم فيه، سبب هام من أسباب فساد المجتمعات.

المطلب الخامس: العلو والطغيان

فالعلو في اللغة ضد السفل، وهو الارتفاع، ويستعمل في الأمكنة والأجسام أكثر، وفي المحمود والمذموم(4)،والعلُو العظَمة والتجبر(5).

والعلو صفة من صفات الله عز وجل، قال تعالى واصفاً نفسه في آية الكرسي **... وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** (٦) وجاء في الحديث القدسي يقول الله تعالى: **[الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار]**(٧).

وليس هذا هو العلو المقصود، ولا العلو القائم على الحق والعدل كرجحان العالم على الجاهل، والمؤمنين على الكافرين، فهذا استعلاء محمود لا تستقيم الحياة إلا به(8)، قال تعالى: **وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (٩)، إنما المقصود العلو المقترن بالاستكبار والطغيان، وقد قرن القرآن الكريم بين العلو والفساد في أكثر من آية وبيان ذلك فيما يلي:-

---

(1) المؤمنون: ٣٣ .

(2) سبأ: ٣٤ .

(3) الزخرف: ٢٣.

(4) انظر: مفردات ألفاظ القرآن - الأصفهاني - ص ٥٨٢، التوقيف على مهمات التعاريف - المناوي - ص٥٢٥.

(5) انظر: لسان العرب - ابن منظور - ج٥ ص٨٣.

(6) البقرة: ٢٥٥.

(7) مسند الأمام أحمد - أحمد بن حنبل الشيباني - ج٢ص٤١٤. قال عنه الألباني: صحيح. انظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته - الألباني - ج٢ص٧٩٥- حديث رقم(٤٣١١).

(8) انظر: التحرير والتنوير - محمد الطاهر ابن عاشور - ج١٠ص٦٦.

(9) آل عمران: ١٣٩.

١ - قال تعالى: **إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين** (1)، يخبرنا عز وجل أن فرعون علا في الأرض وشعر بعلوه على مكانة غيره، فادعى لنفسه الألوهية(2)، فدفعه هذا العلو إلى الظلم والطغيان والفساد، قال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام: **اذهب إلى فرعون إنه طغى** (3)، فجعل المجتمع شيعاً، يستعبد طائفة منهم فيسخر نساءهم لخدمته ويقتل أطفالهم، وهذا هو قمة الفساد في الأرض، لذلك ختمت الآية بقوله تعالى: **إنه كان من المفسدين** ، وهذا دليل على أن العلو والطغيان من أسباب الفساد.

٢ - قال تعالى: **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** (4)**،** يخبر المولى عز وجل عن سوء عاقبة فرعون وملئه بسبب إفسادهم في الأرض، والسبب في ذلك هو الظلم والعلو، فظلموا أنفسهم بمجافاة الحق الذي استيقنته أنفسهم، وكان علوهم بسبب كفرهم بالآيات البينة التي جاء بها موسى عليه السلام (5)، فلما اجتمع الظلم والعلو وصفهم الله بالمفسدين، وفي ذلك إشارة أن العلو والطغيان من أسباب الفساد في الأرض.

وبصورة عامة فإن العلو يدفع صاحبه للكبر وتكذيب لأنبياء الله ورسله**،** قال تعالى **ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين * إلى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين** (6)، وقال على لسان سليمان: **إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم *ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين** (7)، فأي فساد أكبر من تكذيب رسل الله عز وجل والتعالي على دعوتهم.

ويستنتج مما سبق أن العلو المقترن بالطغيان يسبب الفساد في الأرض، وكل من اتصف بهذه الصفة الذميمة له يد طولى في الفساد.

المطلب السادس: فساد الملوك

الملوك جمع ملك، والملك: هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور، و يختص بسياسة الناطقين، ولهذا يقال: ملك الناس ولا يقال: ملك الأشياء، وأما قوله تعالى: **مالك يوم الدين** (8)

---

(1) القصص: ٤.

(2) انظر: التحرير والتنوير - محمد الطاهر ابن عاشور - ج١٠ص٦٦.

(3) طه: ٢٤.

(4) النمل: ١٤.

(5)انظر: زاد المسير - ابن الجوزي - ص١٠٤٢.

(6) المؤمنون: ٤٥-٤٦.

(7) النمل: ٣١ .

(8)الفاتحة: ٣.

فتقديره: الملك في يوم الدين. ولفظ الملك تشمل الله سبحانه وتعالى ـ وهو الملك الحق ـ وتشمل ملوك الدنيا(1)، قال تعالى على لسان بني إسرائيل **... إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...** (2).

وللملوك أثر كبير في قيادة الشعوب نحو الخير أو الشر على السواء، فبصلاحهم تصلح البلاد وبفسادهم تسوء، قال تعالى على لسان بلقيس(3): **قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** (4)، لما تلقت ملكة سبأ كتاب سليمان عليه السلام، وأحست بالخطر الذي سيلحق بقومها، قالت للملأ منهم: إن ملوك الأرض إذا دخلوا قرية ـ عنوة وقتالاً ـ أفسدوها: باستذلال أهلها، وإهانة أشرافها، وحط مراتبهم، فصاروا عند ذلك أذلة، وقد جاءت بهذا الحكم في حق الملوك بحكم خبرتها ومكانتها في قومها، وقد أكد الله تبارك وتعالى مقالتها بقوله: **وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ** (5) .

ويرى الباحثان أن ولاة الأمور في هذا الزمان من أمراء وحكام ووزراء، يدخلون في دائرة الملوك، وقد ابتلاهم الله سبحانه وتعالى برعاية أمور الأمم والشعوب، لقيادتها نحو الخير، فإن أحسنوا فلهم ولشعوبهم، وإن أساءوا فعليهم وزر من ضل بضلالهم، ويعزز هذا المعنى ما جاء في رسالة النبي ﷺ إلى هرقل(6) ملك الروم حين دعاه للإسلام فقال **[بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين(7)...]**(8)، ذلك أنه إذا أسلم فسيسلم قومه، وإن أبى، بقي القوم على شركهم، فالناس

---

(1) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ـ الأصفهاني ـ ص ٧٧٤.

(2) البقرة: ٢٤٦.

(3) قيل: هي يلمقة بنت اليشرح بن ذي جدن بن أيلي شرح بن الحارث بن قيس، ملكة سبأ. انظر: تاريخ الأمم والملوك ـ الطبري ـ ج١ص٢٨٩

(4) النمل: ٣٤.

(5) انظر: الكشاف ـ الزمخشري ـ ج٣ص١٤٧، وانظر: وفتح القدير ـ الشوكاني ـ ج٤ص١٣٧.

(6) هرقل: علم على ملك الروم، فيه لغتان أكثرهما فتح الراء و سكون القاف مثال دمشق، والثانية سكون الراء و كسر القاف، قال الشافعي هرقل علم قيصر لقب، انظر: تهذيب الأسماء واللغات ـ يحيى بن شرف الدين النووي ـ ج٢ص٦٥، المصباح المنير ـ أحمد الفيومي ـ ج٢ص٣٠٩.

(7) قيل هم أهل السواد من الخدم وأهل الزراعة. انظر: تاج العروس ـ الزبيدي ـ ج٤ص٩٦.

(8) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي إلى الإسلام والنبوة - ص٦١٨ ـ ح (٢٩٤١).

على دين ملوكهم فمن حاد من الأئمة عن الحال مال وأمال(1)، وقال أمير المؤمنين عثمان بن عفان "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"(2).

ويستنتج من ذلك أن لفساد الملوك أثراً كبيراً في فساد الأمم.

المطلب السابع: طاعة المسرفين

سرف: "السين و الراء و الفاء أصل واحد يدل على تعدي الحد"(٣)، والإسراف تجاوز الحد في كل ما يفعله الإنسان.

والمراد بالمسرفين هنا من تجاوزوا الحد في الفساد(٤)

قال تعالى: **ولا تُطِيعوا أمر المسرِفِين* الذِين يفْسِدون فِي الأرض ولا يصلِحون** (٥)، في هذه الآية الكريمة ينهى صالح ﵇ قومه عن طاعة أمر المسرفين، وقوله **أمر المسرِفِين** ينسب الطاعة للأمر مجازاً، وهي للآمر حقيقة، وذلك لبيان الطاعة العمياء التي كان يؤديها العوام لهؤلاء المسرفين، وجاء النهي عن مثل هذه الطاعة، لما لها من تأثير يفسد على العامة حياتها، فهؤلاء المسرفون هم أعلام الكفر، الذين هيمن الفساد على حياتهم، فلا يعرفون للصلاح سبيلاً، وقد بينت الآية شدة فسادهم، قال تعالى: **الذِين يفْسِدون فِي الأرض ولا يصلِحون** (6)، فهم مفسدون، وتعداهم الفساد إلى غيرهم، فليس لهم شأن إلا الإفساد، لذلك ختمت الآية بقوله تعالى: **... ولا يصلِحون** ، وذلك لبيان كمال إفسادهم وأنه لا يخالطه شيء من الإصلاح، فتوجب على صالح ﵇ أن يحذر القوم منهم، لتحصينهم من عدوى الفساد، وحتى يكون قد أخلص لهم النصيحة وأقام عليهم الحجة أمام الله تعالى(7).

فطاعة هؤلاء المسرفين تفسد كل من أطاعهم واقتفى أثرهم.

المطلب الثامن: ترك الولاء للمؤمنين والبراءة من المشركين

---

(1) انظر: فتح الباري ـ ابن حجر العسقلاني ـ ج٧ ص١٥١.

(2) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ج٢ص١٠.

(3) معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس ـ ج٣ ص١٥٣.

(4) انظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ محمود الألوسي ـ م٧ج١٩ص١١٣.

(5) الشعراء: ١٥١،١٥٢.

(6) الشعراء: ١٥٢

(7) انظر: روح المعاني ـ الألوسي ـ م٧ج١٩ص١١٣.

الواو واللام والياء مجتمعة أصل واحد يدل على القرب(١)، والموالاة ضد المعاداة، و الولاية بفتح الواو تعنى النصرة(2).

أما البراء من برأ: الباء و الراء و الهمز فلها أصلان إليهما ترجع فروع الباب: أحدهما الخلق ، والآخر التباعد من الشيء ومن ذلك البرء عند السلامة من السقم(٣).

والولاء بمفهومه الشمولي هو ارتباط وتناصر وتواد، ارتباط برباط العقيدة الإسلامية، التي هي أقوى رابطة يمكن أن ترتبط بها جماعة من البشر، وتناصر يبذل فيه الفرد ماله وولده ونفسه، دون أوليائه، وهو مودة تجعل الأولياء أحب إليه من الآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن، وهذا لا يعطيه شخص يؤمن بالله ـ حق الإيمان - إلا لله، ولرسوله، وللمؤمنين الذين ربطته بهم رابطة الإيمان بالله(4).

وقد حرض القرآن الكريم المؤمنين على ولاء بعضهم لبعض، وحذر من ترك الولاء، كما حذر من ولاء المؤمنين لأعدائهم في أكثر من آية، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:ـ

١ـ قال تعالى: **والَّذِين كفَروا بعضهم أَولياء بعضٍ إِلا تفْعلُوه تكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرض وفَساد كَبِير** (5)، تبين الآية الكريمة تحزب الكفار وموالاة وتعضيد بعضهم لبعض، ذلك أن فئة من الكفار تحزبت بعد بعثته ﷺ ووالى بعضهم بعضاً ضد النبي ﷺ خوفاً من رياسته وظهوره عليهم(٦)، لأجل ذلك حذر الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين من التخلي عن ولائهم لبعض، لئلا تكون فتنة في الأرض وفساد كبير، وتأتي هذه الآية بعد أن ذكر السياق القرآني في الآية السابقة لها(7) موالاة المؤمنين من مهاجرين وأنصار وأعراب بعضهم لبعض ومدح فيهم ذلك وأثنى عليه.

فترك ولاء المؤمن للمؤمن يفضي إلى غلبة أهل الكفر، فَيفْتِن أهلُ الكفر المؤمنين في دينهم، فيقع الفساد في الأرض.

٢ـ قال تعالى: **يا أَيها الَّذِين آمنُوا لا تَتخِذُوا عدوي وعدوكُم أَولياء تُلْقُون إِلَيهِم بِالْمودةِ وقَد كَفَروا بِما جاءكُم مِن الْحق يخْرِجون الرسولَ وإِياكُم أَن تُؤْمِنوا بِاللَّهِ ربكُم إِن كُنْتُم خَرجتُم جِهاداً**

---

(1) معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس ـ ص ١١٠٤.

(2) انظر: المختار الصحاح ـ محمد بن أبي بكر الرازي ـ ص٤٦٢.

(3) انظر: معجم مقاييس اللغة ـ ابن فارس ـ ص١٢٨.

(4) انظر: في ظلال القرآن الكريم ـ سيد قطب ـ ج١ص٣٨٧ .

(5) الأنفال: ٧٣.

(6) انظر: النهر الماد من البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسي ـ ج١ص٩٤٢.

(7)(إِن الَّذِين آمنُوا وهاجروا وجاهدوا بِأَموالِهِم وأَنفُسِهِم فِي سبِيلِ اللَّهِ والَّذِين آووا ونَصروا أُولَئِك بعضهم أَولِياء بعضٍ والَّذِين آمنُوا ولَم يهاجِروا ...) : الأنفال :٧٢

فِي سبِيلِي وابتِغَاء مرضاتِي تُسِرون إِلَيهِم بِالْمودةِ وأَنَا أَعلَم بِما أَخْفَيتُم وما أَعلَنْتُم ومن يفْعلْه مِنْكُم فَقَد ضلَّ سواء السبِيلِ (1)، في الآية نهى للمؤمنين عن موالاة الكفار، وبينت صوراً متعددة للولاء، كإظهار المودة، وتبادل المعلومات "**وهو ما يعرف في هذه الأيام بالتنسيق الأمني**(2)"، ووصفَت من والى الكفار من المؤمنين بالضلال، فأي فساد أكبر من أن يضل المرء عن السبيل، والمخْرج من هذا الضلال عن السبيل إنما يكون بالبعد عن أسبابه، أي بالبراءة من أعداء الله عز وجل.

ومما سبق يرى الباحثان أن ترك الأمة ولاء بعضها لبعض، وعدم براءتها من أعداء الله، أفسد الأمة وأفقدها وحدتها التي هي سر قوتها، وحل مكان ذلك الفرقة والشقاق، فنرى فئاتٍ كثيرة من أبناء هذه الأمة يعطون الولاء لأعداء الله تعالى، يتلقون منهم الأنظمة والأفكار الدخيلة، كبديل عن دين الله، فحلت العداوة مكان الأخوة، هذه الأخوة التي شكلت رابطاً متيناً أعطى الأمة مهابة بين الأمم على مدى قرون من الزمان.

المطلب التاسع: الفراغ مع وفرة الطعام.

الفَراغُ: "الخَلاء، ...وفي التنزيل وأَصبح فُؤاد أُم موسى فارِغاً أَي خالياً من الصبر ...وفَرغْتُ من الشغُل"(3) أي أصبحتُ خاليا من العمل.

فإن جمع الإنسان بين كثرة الطعام، فملأ بطنه، ثم لم يشغل وقته بعمل نافع يعود عليه أو على المجتمع من حوله بالخير وقع منه الفساد لا محال.

قال تعالى: **وإِذِ استَسقَى موسى لِقَومِهِ فَقُلْنَا اضرِب بِعصاك الْحجر فَانْفَجرتْ مِنْه اثْنَتَا عشْرةَ عيناً قَد علِم كُلُّ أُنَاسٍ مشْربهم كُلُوا واشْربوا مِن رِزقِ اللهِ ولَا تَعثَوا فِي الْأَرضِ مفْسِدِين** في هذه الآية الكريمة يذَكر الحق تبارك وتعالى بني إسرائيل بنعمهِ وتفضله عليهم، عندما ساق لهم أطيب الطعام، وفجر لهم العيون بعدد أسباطهم بلا كد منهم ولا سعي، استجابة لدعوة موسى عليه السلام، ثم عقب على ذلك بقوله **... كُلُوا واشْربوا مِن رِزقِ اللهِ...** أي: كلوا واشربوا من هذا الرزق، واشكروا الله على ذلك، ثم نهاهم عن مقابله هذه النعم بالمعصية

---

(1)الممتحنة: ١

(2) مصطلح سياسي تقوم بموجبه الأجهزة الأمنية في دولة ما بتبادل المعلومات حول فئات معينة من الناس مع دولة أخرى بناء على اتفاقيات بينها. انظر: جريدة الرسالة ـ عدد٣٢٩ ـ ٢٠٠٥/٥/١٠ـ ص٧

(3) لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج٨ص٤٤٤.

(4) البقرة: ٦٠.

والفسـاد فقال **... ولا تعثَوا فِي الأرض مفْسِدِين** أي لا تقابلوا النعم بالعصيان فتسلبوها[1]، وقد جاءت فاصلة الآية بالنهي عن الفساد بعد ذكر نعمة المأكل والمشرب، خشية البطر فينشأ عن ذلـك الفسـاد(2)، خاصة أن بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر أصبحوا سادة أحراراً بعد ذلة وعـبودية،إذ كانوا يرهقون أنفسهم في الكد والسعي استرضاء لأسيادهم من الفراعنة الذين كانوا يسـتخدمونهم لأشـق الأعمال(3)، وهم الآن سادة أحرار يأتيهم الرزق الرغيد دون بذل منهم أو عناء، فهم يتمتعون بنعمة الطعام والشراب والفراغ، فالفساد قد توفرت أسبابه فوجب تحذيرهم.

فالإنسان إذا أكل وشبع أُورثَ كثرة النوم، وبلادة الذهن، لاندفاع بخار الطعام إلى دماغه حتى تغطي على مكان الفكر وموضع الذكر(4)، فإذا جمع مع ذلك الفراغ، فإنه سيندفع لاستهلاك طاقته في ما يعود عليه بالخسران.

لأجل ذلك لم يجعل الله الطعام معدا للناس بغير سعي ولا تعب، لأن ذلك يؤدى بهم إلى الشَـرهِ والبطـنة، فيكثر الفساد وتعم الفواحش والبغي في الأرض(5)، قال تعالى **ولو بسط الله الرزقَ لِعبادِهِ لبغَوا فِي الأرض ولكِن ينَزلُ بِقَدرٍ ما يشَاء إنه بِعِبادِهِ خَبِير بصِير** [6].

الخاتمة

الحمـد لله الـذي بنعمته تتم الصالحات، وقد أتم علينا نعمته بتمام هذا البحث، لنقف من خلالـه علـى موضـوع هـو غايـة في الشر لمعرفة حقيقته وأسبابه في ضوء دراسة قرآنية موضوعية، وذلك مخافة أن يدركنا، وقد تمخضت الدراسة عن النتائج التالية:-

---

(1) انظر: تفسير القران العظيم - ابن كثير - ج١ص٢٣٣.

(2) انظر: تفسير المراغي - أحمد مصطفى المراغي - ج١ص١٢٩.

(3) انظـر: زاد المسـير - ابن الجوزي - ص٦٠، وانظر: التحرير والتنوير - ابن عاشور - ج١ص ٤٩٢.

(4) انظر: مختصر منهاج القاصدين - أحمد بن قدامة المقدسي - ص١٧٥.

(5) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم و الإرادة - ابن القيم - ص٢٦٦.

(6) الشورى: ٢٧.

أولاً: عرفنا معنى الفساد في اللغة والاصطلاح، وقد خرج الباحثان بتعريف اصطلاحي للفساد و "هو ما خرج عن حالة الصلاح والاعتدال التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية"

ثانياً: ثبت لنا أن لفظة فسد ومشتقاتها قد ذكرت في السياق القرآني تسعاً وأربعين مرة، اثنتان وثلاثون مرة في السور المكية، و سبع عشرة مرة في السور المدنية، وقد وجدت هذه المواضع في اثنتين وعشرين سورة، ست عشرة منها مكية، وست سور مدنية.

رابعاً: أدركنا من خلال النتيجة أن الآيات المكية التي تتحدث عن الفساد والمفسدين هي ضعف الآيات المدنية، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة المجتمع المكي الذي كانت فيه روح الجاهلية وتعاليمها الفاسدة، أما في المدينة فالقيادة للنبي ﷺ ، والشعب قد تربى على تعاليم القرآن، ولم يعد للمفسدين شأن ولا سلطان.

خامساً: جاءت مادة فسد في القرآن على أربع صيغ وهي كما يلي:-

١- الفعل الماضي: بصيغة " فسد، أسد " وذلك في أربعة مواضع من كتاب الله تعالى

٢- الفعل المضارع: وقد جاء في أربعة عشر موضعاً من كتاب الله تعالى، حيث جاء في اثني عشر موضعاً متصلاً بواو الجماعة أو نونها للإخبار عن الجمع، وفي موضعين مجرد من الضمائر، ولعل في ذلك إشارة إلى أن الفساد الذي تمارسه الجماعة أشد خطراً من ذاك الذي يمارسه شخص بمفرده.

٣- اسم الفاعل: وقد جاء ذكره في إحدى وعشرين موضعاً، وهو مشتق من الفعل الرباعي أفسد فهو مفسد، ولم تأت من الفعل الثلاثي" فسد فهو فاسد " وذلك ليعلنها حرباً على المفسدين وبيان شدة خطرهم على المجتمع من حولهم، فهم الذين ينشرون الفساد في الأرض، ولم يذكر الفاسدين بشيء، فلعل ذلك أدعى لصلاحهم.

٤- المصدر: وقد جاء ذكره من الفعل الثلاثي " فسد – فساداً " أحدى عشرة مرة، وقد ذكرت في البحث تحت عناوين متعددة.

سادساً: لم ترد لفظة الفساد بصيغة الأمر ولا المبالغة ولا المدح، وذلك لأن القرآن الكريم قد جاء حرباً على الفساد فكيف يأمر به أو يمدحه؟

سابعاً: بدا لنا من أسباب الفساد المستنبطة من آيات القرآن الكريم التي تجمع بين السبب و النتيجة، أن الهوى سبب هام من أسباب الفساد، ولذلك ما ذكر الهوى في القرآن إلا مذموماً، وما نسب إلا لأهل الفساد والضلال.

ثامناً: ومن أسباب الفساد اعتقاد تعدد الآلهة، وكذلك ترك الجهاد في سبيل الله، هذا الجهاد الذي به تطهر الأرض من عبث المفسدين وتسود بسببه الفضيلة، وبدونه يتصدر أهل الجور والأهواء مقاليد الأمر، فيعم الفساد وتنتشر الرذيلة ويهلك الحرث والنسل.

تاسعاً: ومن أسباب الفساد ظهور المترفين، فمن خلال الآيات ظهر لنا أن المترفين ظالمون، وأن تصدرهم ينذر بالدمار وأنهم أعداء الأنبياء، وبناء عليه فإن ظهورهم سبب هام من أسباب فساد المجتمعات.

عاشراً: ومن أسبابه العلو والطغيان، وكذلك فساد الملوك، وقد اتضح من خلال البحث الأثر السلبي الكبير الذي يحدثه المفسدون من الملوك.

الحادي عشر: ومن أسبابه طاعة المسرفين، والمراد بهم الذين تجاوزوا الحد في الفساد، فطاعتهم تفسد كل من أطاعهم واقتفى أثرهم.

الثاني عشر: ومن أسبابه ترك الولاء للمؤمنين والبراءة من المشركين، وكذلك الفراغ مع وفرة الطعام.

وبهذا تظهر لنا تسعة أسباب للفساد، إن وجدت في مجتمع تفضي إلى هلاكه بانتشار الفساد فيه، وبتجنبها والحذر منها يسود المجتمع ويسمو إلى كل خير وفضيلة.

المراجع :

١- أدب الدنيا والدين - أبو الحسن الماوردي: القاهرة:مصطفى البابي الحلبي - دون تاريخ.

٢- الأفعال في القرآن الكريم دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع القراءات - عبد الحميد السيد - عمان - دار حامد للنشر - ٢٠٠٣م.

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل - أبو الخير عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى عام ٧٩١هـ - الطبعة الثانية - القاهرة، مطبعة البابي الحلبي - ١٩٦٨م.

٤- البداية والنهاية إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ـ مكتبة المعارف – بيروت ـ ١٩٨٨م.

٥- تاج العروس من جواهر القاموس ـ محمد مرتضى الزبيدي ـ بيروت ـ دار مكتبة الحياة ـ دون تاريخ.

٦- تاريخ الأمم والملوك ـ ابن جرير الطبري ـ بيروت ـ دون ناشر ـ دون تاريخ.

٧- التحرير والتنوير ـ محمد الطاهر ابن عاشور ـ تونس ـ دار سحنون للنشر والتوزيع ـ ١٩٩٧م.

٨- تفسير البحر المحيط ـ أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي ـ بيروت دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ـ ٢٠٠١م.

٩- تفسير القرآن العظيم ـ إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ـ تحقيق السيد محمد السيد ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ ٢٠٠٢م.

١٠- تفسير المراغي ـ أحمد مصطفى المراغي ـ دون مكان ـ دار الفكر ـ دون تاريخ

١١- التوقيف على مهمات التعاريف معجم لغوي مصطلحي ـ محمد عبد الرؤوف المناوي تحقيق محمد رضوان الداية ـ دار الفكر المعاصر بيروت ـ٢٠٠٢م.

١٢- جامع البيان في تأويل آي القرآن ـ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ ـ الطبعة الثالثة ـ بيروت ـ دار المعرفة ـ ١٩٧٨م.

١٣- الجرح والتعديل ـ عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي ـ الهند ـ مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ ١٩٥٣م.

١٤- جريدة الرسالة ـ فلسطين ـ جريدة يومية تصدر عن حزب الخلاص الإسلامي.

١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ محمود الألوسي ـ بيروت ـ دار الفكر ـ ١٩٧٨م.

١٦- زاد المسير في علم التفسير ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي ـ بيروت ـ المكتب الإسلامي ـ ٢٠٠٢م.

١٧- السلسلة الصحيحة ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ الرياض ـ مكتبة المعارف ـ دون تاريخ.

١٨- صحيح البخاري ـ محمد بن إسماعيل البخاري ـ تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ـ المنصورة ـ مكتبة الإيمان ـ ٢٠٠٣ م.

١٩- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ المكتب الإسلامي ـ ١٩٨٨م.

٢٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري ـ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ـ بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ.

٢١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ـ محمد بن علي الشوكاني: دار الفكر: بيروت ـ ١٩٨٣م.

٢٢- في ظلال القران ـ سيد قطب ـ ط١٠ ـ القاهرة ـ دار الشروق ـ ١٩٨١م.

٢٣- القاموس المحيط ـ الفيروز أبادي بيروت العربية للطباعة والنشر ـ دون تاريخ.

٢٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري ـ بيروت ـ دار المعرفة ـ دون تاريخ .

٢٥- لسان العرب ـ محمد بن مكرم بن منظور ـ بيروت: دار صادر ـ دون تاريخ.

٢٦- السلسلة الصحيحة ـ محمد ناصر الدين الألباني ـ الرياض ـ مكتبة المعارف ـ دون تاريخ

٢٧- المختار الصحاح ـ محمد بن أبي بكر الرازي ـ المطبعة العامرية العثمانية ـ [القاهرة] ـ ١٣١١هـ .

٢٨- مختصر منهاج القاصدين ـ أحمد بن قدامة المقدسي ـ دمشق ـ مؤسسة دار البيان ـ ١٩٧٨م.

٢٩- مسند الامام أحمد بن حنبل ـ أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني ـ بيروت ـ دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ـ دون تاريخ.

٣٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للراعي ـ أحمد بن محمد الفيومي ـ دمشق ـ دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ـ دون تاريخ.

٣١- معالم التنزيل ـ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ـ تخقيق عبد الرزاق المهدي ـ بيروت ـ دار إحياء التراث العربي ـ ٢٠٠٠م.

٣٢- معاني القرآن واعرابه ـ عبد الرحمن بن اسحق النهاوندي الزجاج المتوفي ٣٣٧ هـ، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، بيروت ـ عالم الكتب ـ ١٩٨٨م.

٣٣- المعجم الأوسط ـ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ـ عمان ـ دار الفكر ـ ١٩٩٩م.

٣٤- المعجم الوجيز لألفاظ القرآن الكريم ـ نبيل عبد السلام هارون ـ القاهرة ـ دار النشر للجامعات ـ ١٩٩٧م.

٣٥- معجم مقاييس اللغة ـ أبو الحسن أحمد ابن فارس ابن زكريا المشهور بابن فارس ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ـ دار الفكر للطباعة والنشر – ١٩٩٨م.

٣٦- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ـ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم ـ ط٣ القاهرة ـ مكتبة حميدو ـ ١٩٧٩ م.

٣٧- مفردات ألفاظ القرآن ـ أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني ـ تحقيق صفوان عدنان داودي ـ الطبعة الثانية ـ دمشق ـ دار القلم، ٢٠٠٢م.

٣٨- المقتطف من عيون التفاسير ـ مصطفى الحصن المنصوري ـ تحقيق محمد على الصابوني ـ القاهرة ـ دار الفكر ـ ١٩٩٦م.

٣٩- المنطلق ـ محمد أحمد الراشد ـ الطبعة الثامنة ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ ١٩٨٣م.

٤٠- النهر الماد من البحر المحيط ـ أبو حيان الأندلسي ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٩٨٧م.

٤١- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ـ علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن ـ دار القلم ـ دمشق: ١٩٩٥م.